

# الوعي الفني

بقلم مفيد عرنوق

العمل الفني لا يقف عند حدود العقل ، كما لا يقف عند حدود العاطفة المجردة . انه عمل يرتكز على الفكر العاطفي المنسجم مع الذات المجتمعية الانسانية .

والفرد ، يستقي جميع امكانياته ومؤهلاته العقلية والنفسية من مجتمعه عبر تاريخه الطويل بالتفاعل الحي مع الحاضر ومع خط هذا التاريخ في المستقبل .

ولما كانت المجتمعات البشرية تشكل بمجموعها شخصية انسانية واحدة ، من حيث بعض العوامل المشتركة ، فان شخصية الفنان تتضمن جزءا من هذه العوامل المشتركة، تحت شعار العامل الانساني الواحد ...

فالعمل الفني يأخذ اصوله من قلب المجتمع ، انه حصيلة الدفع الفكري العاطفي ، ينشأ في البدء شعورا مضطربا ، ثم لا يلبث ان يصفو تدريجيا لينفعل ويتفاعل فينتج عبقرية فذة خالدة .

وعلى شريط الوعي والانفعال والتفاعل ، يقف الفنانون ومتذوقو الفن ، درجات درجات ، واما الطليعة فتكون دائما من نصيب العباقرة ...

ان اول شروط الفنان ليكون فنانا اصيلا ، ان يعي ذاته اولا ، محددًا قوة حساسيتها ومقدار فعاليتها ، ثم ان يحدد مكان وجودها في مجتمعه ، من ضمن النظرة الانسانية المشتركة .

ولا يصح للفنان ان يعي ذاته الا بوعيه لشخصية مجتمعه في ماضيها وحاضرها واتجاه مستقبلها ، حتى يحدد على شريط الوعي الفكري العاطفي هذه الشخصية . واما المجتمع الذي يفذي الفنان ، فهو متعدد

الصفات والامكانيات والحاجات ، انه عالم صغير قائم بذاته ضمن مجموعة العوالم البشرية الاخرى ، ولا يمكن للفرد ، مهما اوتي من عبقرية ، ان يعي كامل قوة مجتمعه ، اذ ان هذه القوة تبدأ منذ فجر التاريخ ، تتجمع وتتوحد وتصبح كيانا تتمثل فيه جميع امكانيات الافراد ، في وحدة تامة .

فقد يلم الفرد ببعض هذه الامكانيات ، غير انه يعجز عن الاحاطة بها كاملة . ولذلك كانت الشخصية المجتمعية اقوى من الذات الفردية ، ولذلك ايضا كان على هذه الذات الفردية ان تتفاعل دوما مع الشخصية المجتمعية لاستكمال عناصر رقيها وكمالها .

## الوعي الذاتي

اننا دوما نتحدث عن معرفة النفس ، مرددين اقوال الفلاسفة حول هذه القضية . ومثل هذه المطلقات ، كثيرا ما تبقى معلقة في دوامة الجهل ، دون ان نصل الى توضيح واقعي . ولذلك كان من واجبن ان نفهم باستمرار الافكار الفلسفية المطلقة من ضمن النظرية العملية ، حتى تنم لنا معرفتها معرفة كلية ، بقدر المستطاع ، والا بقيت هذه الافكار ضمن حدود المظهر الجمالي الاخاذ فقط ، بعيدة عن تصرفاتنا ، وبالتالي عن امكانية تحقيقها .

ومن اجل ان يعي الفنان او متذوق الفن ذاته ، توجب عليه ان يقرر بينه وبين نفسه اللون الفني الذي يتمشقه بالدرجة الاولى ، من بين مجموعة الالوان التي يتحسس بها . ومثل هذا اللون ، خاضع حتما لتأثيرات عديدة منها السن والوسط العائلي والظروف الاجتماعية والمادية ، الى ما هنالك من عوامل ، من شأنها ان تقرر بطبيعتها مسدى نشاط الفعاليات الفنية في حياة الانسان . وبغض النظر عن كل هذه المؤثرات ، يتراءى لنا ان على صاحب الموهبة الفنية ان يتفقد جميع حواشي موهبته التي تتجلى بادىء ذي بدء ، بالليل العفوي نحو لون فني معين . وبفضل هذا الجهد الارادي ، تزداد ادراكات المرء العاطفية مسن ضمن هذا الحقل بالذات ، وعند ذلك ، اما ان يخطو بموهبته خطوات واسعة ، واما ان تكون موهبته محدودة ، فيقف بها عند حد معين لا يستطيع تجاوزه .

ومن اجل تقرير هذه الامور الدقيقة ، يتوجب على الفنان ان يعتمد النقد النزبه لانتاجه ومدى تقبل المجتمع لهذا الانتاج بوجه عام . وفي كل مرحلة من المراحل الانتاجية ، يجب ان يمر الفنان في حساب عسير ، يخلص منه الى تبني اشياء جديدة والى التخلي عن اشياء اخرى ، وذلك بالنسبة للرأي العام القائم اولا على اساس النقد ، وثانيا على القراء ، هذا علما بان التاريخ يسجل دوما بروز عبقريات فذة قد تسبق زمانها بكثير ولذلك كان ادراك هذه العبقريات وتقديرها يفوق ادراك النقاد ، انفسهم ، لها . ان مثل هذه المواهب الفذة ، متروك امرها للفنان العبقرى نفسه وللزمن ..

ومتى استطاع الانسان الدخول في هذه الحاسبة النفسية العسيرة ، يكون عندئذ قد جاز له تعيين مركزه على شريط الوعي الفني ، مصنفا نفسه منتجا او ناقدا او متذوقا للفن ، وبهذا طبعيا ، يكون قد حدد خط سيره دون ليس ولا ابهام . واما الاستمرار في التخطيط او المكابرة ، بعيدا عن روح الاختصاص الحقيقي ، فان ذلك من شأنه ، ان يضع على الفنان فرصة التقدم وعلى المجتمع فرصة الافادة من فنه .

## الوعي المجتمعي

بعد ان تتحقق معرفة النفس ، ومنها معرفة امكانيات ومواهب هذه النفس ، يكون قد برز الوعي الذاتي وهذا الوعي هو جزء لا يتجزأ من الوعي المجتمعي ، لانه ينبع منه سواء ادرك الفنان ذلك ام لم يدرك . ولذلك كانت مهمتنا شاقة جدا في هذه الرحلة بالذات ، التي يتوجب علينا فيها ان نرد الفرع الى الاصل ، اي ان نعرف الجذور العميقة في المجتمع المتصلة بها مواهنا . ومن اجل هذا الادراك الحي الواعي ، تقضى ثقافتنا الفنية بالأحاطة ، بوجه عام ، بمختلف الالوان الفنية التي ظهرت في مجتمعا منذ فجر التاريخ ، وعلى الاخص اللون الذي نتمشق اكثر من سواه . واما الدراسة العامة لجميع الالوان فشرط

المحافظة على شخصية امته .  
الفنان هو من كان صاحب رسالة قبل كل شيء ،  
ومن خرج عن ذلك ، كان فنه هيئة ربح في دوامة القدر  
ولمرحلة زمنية معينة .

### الوعي الانساني

ان المجتمعات البشرية ، يختلف اشكالها ، في الماضي  
والحاضر ، صنعتها احداث كبرى وتفاعلات محلية ضمن  
مجموعة بشرية معينة . ان دعوة الحياة الى الرقي  
والتسامي هي دعوة عامة وشاملة ، ولذلك ، كان لزاما  
على الفنان ، وهو ابن الحياة ، ان يقدر العامل المشترك  
الانساني الذي يجمع بينه وبين اخيه الانسان . فالطاقة  
الفنية التي احاط بها والتي هي منبثقة من مجتمعه اولا ،  
يجب ان تلتقي طبيعيا بالخط الانساني العام تلبية لدعوة  
الحياة ، وبغير ذلك ، تكون الطاقات الفنية المتحجرة على  
اساس مفهوم معين في كل بقعة من بقاع الارض ، طاقات  
متناحرة متحاربة عاجزة عن تلبية دعوة الحياة المثلى .

الفنان هو الانسان الحي الذي يتحسس مصير  
البشرية من ضمن نظرتة المجتمعية وعلى هذا ، يكون  
فنه ذا لون انساني ، واما الطاقة الفنية التي حصل عليها  
من مجتمعه ، فليست الا اداة للتعبير الفني لا غاية بحد  
ذاتها .

وفي سبيل خدمة هذا التلاقي في الخط الانساني  
العام ، يتوجب على الفنان ان يحيط بقدر المستطاع  
بمختلف الانحيازات الفنية العالمية ، حتى يتبلور في نفسه  
شخصيته الكاملة ، وبالتالي يتبلور فنه للسير صعدا في  
طريق الخلود .

### وقوع الانفعالات الفنية

بعد ان يحقق الفنان ذاته المجتمعية الانسانية ، تبرز  
في ضميره الاحداث والتفاعلات التاريخية العظيمة الشأن ،  
وتبقى ماثلة في نفسه على الدوام ، سواء افي حالة الوعي  
ام اللاوعي . وفي كلتا الحالتين ، يتأثر الفنان بهذه الاحداث ،  
التي تعتبر حافزا قويا لجلاء قدرته الابداعية .

وهذه الاحداث ، منها ما ينبعث من مجتمعه الخاص ،  
ومنها ما ينبعث من المجتمعات الأخرى ، وعندئذ تتجاوب  
هذه الاحداث فيما بينها بالمقارنة الشعورية ، فتولد عند  
الفنان تيارات جديدة من ضمن نظرتة الخاصة ، تنطلق  
باتجاهاته الفكرية العاطفية ، الى ما فوق الواقع ، ناشدة  
في خيالها ، واقعا مثاليا فاضلا .

والاحداث التي نعيشها ، يمكن ان تكون ايجابية وسلبية .  
فالاجابية منها ، تدخل في رسم خطوط المثل ، بينما  
السلبية ، تولد رد فعل عنيف ، قوامه خدمة الخطوط  
الاجابية الصاعدة .

وبقدر ما يكون المجتمع الواحد راقيا ، بقدر ما تعتبر  
احدائه مرتكزا ايجابيا لاتجاهات الفنان ، واما اذا كانت  
حضارة المجتمع غير راقية فان روح الفنان عندئذ تتأثر  
بتيارات عالمية تائرا عميقا ، فتردد لتفعل في المجتمع  
الخاص الى حد ما .

النزعة الفنية هي حركة انفعالية تسمو بالذات المجتمعية  
الانسانية الى الاعالي ، فهي اذن نزعة خير وجمال تحمل  
على اجنحتها النفس البشرية ، لترتفع بها الى ما فوق  
الواقع نحو الصفاء الكلي .

ومقر النزعة الفنية الاساسي هو الضمير ، الضمير  
المشبع بالحرية والمعرفة : عناصر ثلاثة ارتفعت بالانسان  
الى اعلى الرتب ، وفصلته نهائيا عن مجموعة بقية الكائنات .

اساسي لاستكمال ثقافتنا في الحقل الخاص ، اذ ان كل  
هذه الالوان ، تؤلف بمجموعها ، وحدة متكاملة تتبلور  
وتنتهي في شخصية المجتمع .

ولا بد عند دراسة تاريخ الفن في المجتمع الواحد  
من الاحاطة بجميع العوامل التاريخية الحضارية التي  
انفعل بها الفن في سياقه الطويل . ومن هنا يتراءى  
للمنقب دوما خط صعود وهبوط الروح الفنية على شريط  
الوعي بالنسبة لاحداث التاريخ والنزعات التي تناوبته  
في سيره .

وفي اثناء هذه الرحلة التثقيفية بنفعل الوعي الذاتي  
باحداث الماضي ، فتخلق من جرائه تفجرات عاطفية عظيمة  
الشأن في حياة الفنان . ويقدر ما تكون الثقافة مركزه ،  
يقدر ما تكون العاطفة محضونة بالادراك ، وبالتالي بالفكر  
العاطفي .

ولا يمكن لهذه التفجرات ان تحدث الا لدى مقارنتها  
الشعورية او اللاشعورية بالحاضر ، مشدودة الى مثل  
الامة العليا كما رسمتها لها احداثها في سياق التاريخ  
الطويل .

فالفنان الذي لا يعود بنفسه الى روح مجتمعه  
ليتفقد ينبوع الاصيل لفنه ، انه لا ينفعل انفعالا صحيحا  
بحاضر امته وبمستقبلها ، فيكون فنه عندئذ ، مشوشا  
ومتعدد الشخصيات ، ان لم نقل ذا شخصية اجنبية قد  
تفيد منها امته بعض الشيء وقد لا تفيد ، وهذا الفن ،  
على كل حال ، يكون عاجزا عن تاديه رسالته بعجزه عن

## الاستاذ احمد الشقيري

محامي العرب الدائم في الامم المتحدة  
يقدم الى القراء العرب في كل مكات

# فضيا بالعربية

آخر ما كتبه بألمانية السامر وبيان المقنع البليغ

في الدفاع عن مختلف القضايا العربية الراهنة

منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر

٣٠٠ صفحة من القطع الكبير في طباعة فاخرة  
واخراج انيق - التمس ٥٠٠ ل.س .

## منشورات مكتبة انطوان

# YAIRA

أول كتاب لبناني بالحرف اللاتيني

تأليف  
سعيد عقل

يطلب من جميع المكتبات

السعر ٥ ل.ل

## منشورات مكتبة المعارف في بيروت

شارع المعرض ص.ب ١٧٦١

- ٥٠٠ عالم شتاينيك الرحيب (دراسة في فنه القصصي)  
تأليف بينترنيسكا - ترجمة عبد اللطيف شرارة - مراجعة  
سميرة عزام
- ١٥٠ الزواج الناجح اوستاس تشاسر
- ١٥٠ مشاكل الشباب تشارلز دايفي
- ٤٥٠ من يطفيء النار وفيق العلايلي
- ١٥٠ نساء اليوم (ط٢) وفيق العلايلي
- يصدر قريبا
- كيف تساعدك انباطك في المدرسة ماري فرانك ولورانس  
له فرانك ترجمة صبيحة عكاش فارس وسميرة عزام
- كوبا في غمرة الكفاح الوطني يوسف عبده سعيد  
الملعونة وفيق العلايلي

انها دعوة تسام لا انحطاط ، وبذلك فقط ، تتجلى قيمة رسالة الفنان ، كونها تلبية صادقة لدعوة الحياة السامية . قلنا ان الفنان يمكن ان يواجه بعد تكوين شخصيته حالتين احدهما ايجابية والاخرى سلبية ، فالاجابية تشأ عن انتصارات الامة ، انها خطها الصاعد واما السلبية فعن الاندحارات وهي اذن خطها الهابط .

ففي الانتصارات ، تنفعل روح الفنان بعظمة ومجد الظفر ، انما لا تستطيع ان تتخطى كثيرا حدود هذه الانتصارات ، انها تكتفي بوصفها والتغني بها وتمجيدها فهي مرآة غنية الحساسية ، ولكن مرآة ، على كل حال وضمن حدود معينة من الاكتفاء الروحي .

واما في حالة المحن فترفض نفس الفنان الواقع الاليم وهي تتطلع بواسطة مثلها التي تؤمن بها ، الى منتهى الخط الصاعد ، فيكون الفكر العاطفي في هذه الحالة ، طليقا متحررا من جميع قيود الواقع ، انه يستطيع اذن ان يسمو بتأملاته ليخلد في العالم المنشود وعلى هذا الاساس ، كان احد الفلاسفة على حق حين قال : « الفضيلة ارجلها في الوحل » .

فاذا استقرينا صفحات التاريخ الحضاري ممعنين النظر في كل بيئة ظهرت فيها العباقرة الفينا بوجه عام ان المحن يشتى الوانها هي التي ادت بالدرجة الاولى الى بروز العبقريات الخالدة .

وهنا لا بد من الاشارة الى ان المحن في حالة رسوخها واتساع مداها تصبح شقاء يدل الموهبة الفنية ويضعفها الى حين . وما يقال عن الفن في حياة الامم ينطبق ايضا على اساس النسبية ، على حياة الافراد الشخصية ، فيما يتعلق بالتفاعلات الوجدانية وبروزها .

ان تبعة الالهام الصافي تنفجر في قلب المحن ، اذ ان الفنان في هذه الحالة ، يتجرد من الواقع تجردا تاما ، ليدخل في الوعي الذاتي الحر والصفاء الروحي ، فتكون جملة العصبية عندئذ بكامل قدرتها على الانتقاط والانفعال ولذلك ايضا كان الالم ملازما لحياة الفنانين وكان وسادتهم الناعمة .

فالفن اذن مركزه الضمير ، والضمير كما قلنا ، يرتكز على الحرية والمعرفة ليحقق في الوجود الخير والجمال . فكل من لا يحمل في غائته هذه القيم ، لا يعتبر فنا صادقا مهما كانت اداة التعبير عنه راقية ، انما يعتبر حالة مرضية للفن ترتكز على المظهر لا على الجوهر .

وقد يقوم فنان بتصوير حالة بشعة تمجها الانسانية ، ومع هذا نعتبر فنه اصيلا . ففي هذه الحالة يكون الفنان قد نجح في اعطائنا الصورة البشعة ليولد في نفوسنا بواسطتها ، دعوة مضادة لها انتصارا للجمال .

ان للضمير المعطي ، هو ينبوع الفن ، وكذلك ايضا الضمير المتلقي هو التربة الصالحة التي يتفاعل فيها هذا الفن .

هذه خطوط اساسية في حقل الوعي الفني دعنتني الى محاولة بحثها حاجتنا الملحة في الوقت الحاضر الى تركيز وعينا تركيزا صحيحا مبنيا على العلم والمعرفة وادراك الذات .

وفي هذه المرحلة التاريخية الحاسمة ، التي بدأت الشخصية العربية تتبلور بوضوح ، اننا مدعوون جميعا الى الكشف عن اغوار النفس لنطلقها في عملها البناء نحو مستقبل سعيد زاهر .

سعيد عنونق